مذكرات شاه ايران السابق في المنفى

كتاب التحرير

Mohammad Reza Pahlavi

Réponse à l'Histoire

Albin Michel

وألقى الجنرال هويزر بالملك خارج البلاد

هـــتى رجـب

التحرير

خلال تلك الفترة العصيبة كنت أبحث عن معارضين راسخي الإيمان يريدون الانطلاق في طريق الحرية التي قررتها ، ويرفضون الفساد الذي لم أتنو الخضوع له . ولما كنت قد قررت عدم الالتجاء إلى القوة ، فقد حاولت حل الأزمة بالوسائل الدستورية ، تحقيقا للصالح العام . وظننت أن حكومة مدنية تضم أعضاء من المعارضين يمكنها أن تكبح المهيجين ومثيري الفتن ومن وراءهم ، كي نستأنف أعمالنا . فتوجهت إلى الدكتور صادق عضو اللجنة الوطنية ، فأعلن أنه مستعد لتشكيل حكومة ائتلافية دون أي شرط ، وطلب أسبوعا للتفكير . لكنه انصاعا لضغوط حزبه ، طلب مني في النهاية تعيين مجلس وصاية مع بقائي في البلاد ، وهو شرط استحال قبوله ، لأنه يعني احتراق بعجزي عن أداء واجباتي كملك

أما مناحاتي وبازرجان فقد قاما بعد عودتهما إلى طهران ، بحركة ضد الحكومة ، فألقي القبض عليهما ، ثم أطلق سراحهما بعد ذلك بتدخل مع رئيس الوزراء ذاته ، فقبل مناحاتي يدي معلنا بصوت جهوري إخلاصه واستعداده لتشكيل حكومة ، على أن أغادر طهران في إجازة . فهل كان هؤلاء الساسة يدركون أن الدولة على حافة الهاوية ؟ هل كانوا يعلمون أن الأمر لم يعد متعلقا بانهيار احتياجات واحتكارات وتفوق حزب في الانتخابات ، إنما المشكلة هناء أو هناك أيضا ، إن الفوضى الاقتصادية لم تكن أقل خطورة من هياج الشوارع أو اضطرابات . فقد تتابعت الإضطرابات ، وهبط إنتاج البترول من ٦ ٥ مليون برميل إلى ١٧ مليون برميل ، مما يعني كارثة اقتصادية لإيران . كما توقف التيار الموجه إلى الاتحاد السوفيتي . وهو موقف يعتبر استمرارة . وهنا طلب مناحاتي عضو الجبهة الوطنية شهور مختار ، وسيط رئيس الساقات ، وكنت قد التقيت به لأول مرة في حضور نوروز الذي ترك منصبه السياسي مع بقائه مستشارا لي . فقررت تشكيل حكومة ائتلافية برئاسته ، بعد أن لاحظت هدوءه وتحفظه في مواقفه ، ورفضه إلى قصر نياوران اختيار مقدم رئيس الساقات ، وقام بمقابلة عدة مناحات . وطلب مختار في استعراض إخلاصه للملكية ، أوضح لي أنه الوحيد القادر على تأليف حكومة في الفترة الحرجة التي تجتازها

وليدي رغبته في احترام النصوص الدستورية ، وتعيين مجلس وصاية قبل رحيلي مباشرة في إجازة ، وضمانة الحصول على أغلبية الأصوات ، فوافقت على اقتراحاته ، فألف دون صعوبة المذكر ، مجلس وزراء مدنيا ، وحصل على أغلبية الأصوات في مجلس النواب

لكنه لم يتمكن من تحقيق برنامجه الذي أعلنه بالمطالعة على مراسل الصحافة العالمية الذين هرعوا إلى طهران ، وفي التليفزيون ، إذ قرر أصدقاؤه القدامى من الجبهة الوطنية سحبه ، ومن الغريب أن هدف المسئولين في البلاد لم يكن إعادة النظام أو تسيير دفة الاقتصاد القومي ، بل مصير ذلك ، وتضحى عدد من المتظاهرين بالاتحاد في إيران لبضعة أسابيع ، حتى يهدأ الفوضى ، وبينما عارضي جبرائيلي هذا الحل بشدة ، لأن معارضتي ستؤدي إلى انفجار كل شيء

وأستطيع الآن أن أقول إني قد فهمت الأسباب التي جعلت ، واخطط التي بقيت وقت طويل ، قبل عامين بالتحديد ، أقنعني سفارك بعض الأمريكيين ، لقد كنت واثقا من أن عددا منهم يعارض برنامج التسليح ، وأعلنوا على الملأ أن الثمين الذين حاولوا كبحه وتطويره للأسلحة الجديدة ، يضطهدون رهائن للاتحاد السوفيتي ، مما يعني بالنسبة إليهم ضرورة إلغاء معاهدة التحالف الثنائية التي تربطنا بالولايات المتحدة ، والتي تلزم عليهم مساعدتنا في حالة هجوم شيوعي أو تحريض شيوعيين ، وبنا اقتضى تفكيرهم للأمور بقيت الحكومة الأمريكية راجحا تحديد موقفها من المعاهدات الثنائية ، فجاءني الرد التالي ، إن الولايات المتحدة لن داعا بمعاهداتها ، وبعد بضعة شهور قابلت صديق العظم مبشوط روكفلر ، فسألت :

هل قرر الأمريكيون والسوفييت التسام العالم ؟

فأجابني بالقطع لا ، ثم أضاف ، في حدود علمي على الأقل ، وبعد تفاقم الوقف في ديسمبر ١٩٧٨ جاء إلى سفيرا أمريكا وبريطانيا ليؤكدا لي بدعم لن

تحذير من الراقدا

التقيت مرارا سفير الاتحاد السوفيتي الذي كان يحدثني بلغات الجاسة ، مؤكدا على التعاون والصداقة السوفيتية ، ولكنه ساور في إجازة ، ولم أره بعد عودته إلى طهران ، ويبدو أن أحداث إيران قد أفقدت السوفيت بصورة جدية ، وحاول الروس في صورة تحذير واضح في مقال في صحيفة الراقدا في نهاية نوفمبر

يقول المقال ، إن الاتحاد السوفيتي الذي يحتفظ بعلاقة حسن الجوار مع إيران ، يعلن صراحة أنه ضد أي تدخل في الشئون الداخلية لإيران ، إن كان سرا وفي شكل من الأشكال ، إن الاضطرابات داخلية بحتة ، والمشاكل الرئيسية يجب أن تحلها الإيرانيون بأنفسهم ، وعلى كل الدول أن تتبع المبادئ التي حددها ميثاق الأمم المتحدة ، وعليها أن تحترم سيادة واستقلال إيران والشعب الإيراني ، ويجب أن يكون واضحا أن كل تدخل وخاصة التدخل العسكري في شئون إيران ، وهي دولة متاخمة للاتحاد السوفيتي ، سوف يعد مساسا بمصالح أمنها

ثم أعلنت الولايات المتحدة أيضا يوم ٧ ديسمبر ، أنها لن تتدخل في إيران بأية وسيلة ، وأعاد سفيرا أمريكا وانجلترا على مسامعي تأييدهما الكامل لنا ، كما نقل كل مبعوث أمريكي قادم إلى طهران ، نصائح بالاطمئنان والهدوء ، غير أن تشجيعهم هذا كان يتعارض مع تحليلات ومواقف أخرى عرفتها من آخرين ، فقد التقيت بالمثل الجديد للسفارات الأمريكية في طهران ، ودهشت لثقافة ملحوظاته ، فعندما تحدثنا عن الحرية الفرحت أساريره ، ولم يتكلم عن الأمن في هذه النقطة من العالم

ثم بعد أن تدخل المتظاهرون الجزائر في سفارة انجلترا ، قال المتحدث العسكري الانجليزي لأحد الجرائد الإيرانية

لم نتهيأ بعد أن الجيل هو الحل السياسي ،

ويدوره أبلغني النائب محمد علي مسعود في نهاية ديسمبر ، أن جورج بلراكر سفير أول السفارة الأمريكية قد قال له ، سيكون هناك قريبا نظام جديد في إيران ، ولم يعد بختفي المعارضات الجبالية التي كنا نقم حلقاء مخلصين

المهمة السرية للجنرال هويزر

وفي بداية يناير أبلغني مفاجأة جديدة ، فالجنرال هويزر موجود في طهران منذ عدة أيام ، ولم أعلن لكثرة أحداث الشهور الأخيرة ، لكن الجنرال هويزر لم يكن بالشخصية الغريبة ، فقد كان قائد قوات حلف شمال الأطلنطي ، وقد اعتاد قبل أن يجيء إلى إيران أن يقدم أولا بطلب للقابلتي ، كما كنت أعلم ببرنامج زيارته مسبقا ، ولم تكن زيارته لطهران للمجاملة ، بل لتنسيق تحركات عسكرية تماما ، أما في هذه المرة ، فقد تمت زيارته في سرية تامة ، ولما سألت جيرالاني عن سبب الزيارة أجابوا جهلهم بأمرها ، فإذا جاء هذا الجنرال الأمريكي إلى إيران ؟ لقد كان وجوده غريبا لحدثا للمألوف ، لأن رحلة بهذا القدر مستوياته لا تجاوز إلا لأسباب خطيرة ، وبنا اتضح وجوده اتهالت الصحف السوفيتية تقول ، الجنرال هويزر في طهران يدير انقلابا عسكريا ، وقد كان هذا بداية تحذير رسمي من الكرملين ، بينما انحصرت مهمة المسئولين الأمريكيين في تغيير كلمة ، تدمير ، بكلمة منع ، أي أن الجنرال هويزر ذهب لمنع انقلاب عسكري في إيران ،

فهل كان ذلك صحيحا ؟ لا أعتقد ذلك ، لأن جنودي منسحبون إلى أبعد الحدود بجهدهم للإخلاص للتاج والدستور ، ومهامهم الدستور عندما تقر بخرقه ، لكن يبدو أن جهود

وجدنا عندها هائلا من رجال البوليس خرجنا في جزر البهاما التي كانت أقصى مراحل المنفى

ولم يتمكن شهور خبيثة من تشويه خطوطه إذ جاء الخميني وأطاح الجمهورية الإسلامية!

الخارجية الأمريكية كان لديها من قوة الأسباب ما جعلها تتبع أن الدستور قد أسيء تطبيقه . فقد كانوا يدفعون إلى تأييد الجيش الإيراني . ولقد وضح أن هذا هو سبب مجيء الجنرال هويزر إلى طهران . ولم أره سوى مرة واحدة بمناسبة السفر سوليفان . واختصر اهتمام كليبرل في معرفة يوم وساعة مغادرتي لطهران . وفيما بعد أبلغني الجنرال غارباغلي القائد الأعلى . أن الجنرال هويزر قد عرض عليه أمرا مضحكا . إذ اقترح عليه أن يدبر له لقاء مع بازرجان . أما ماهية القرارات التي اتخذوها . فلم أعلم منها سوى أن الجنرال غارباغلي قد استغل سلطته في إصدار الأوامر إلى الجنرالات التابعين له . بعدم الحركة . ولقد تم إعداد هؤلاء الجنرالات واحدا تلو الآخر . ولم يقم سوى الجنرال غارباغلي من هذا التطهير الذاتي . بعد أن التقى بازرجان .

ولقد مكث الجنرال هويزر عدة أيام في طهران بعد رحيلي . فماذا حدث ؟ كل ما أستطيع قوله أنه في خضم الفاكهات الثورية . وقبل إعدامه . أعلن الجنرال ربيعي قائد عام الطيران الإيراني للقضاء . أن الجنرال هويزر قد ألقى بالملك خارج البلاد كقذر ميت .

كان مقررا أن أسافر ويرافقني الإمبراطورة . في أجازة لمدة أسابيع فور حصول شهبور خنيار على موافقة الأغلبية . ومن الغريب أن واشنطون هي التي أطلقت لنا رحيل في مؤتمر صحفي يوم ١١ يناير على لسان سوريس فانس قبل أن يغادر إلى طهران .

وقد كانت الأيام الأخيرة مرهقا بين الخوف والأرق . كما كان يتعين على الاستمرار في العمل مع علمي بالمؤامرات ضاعة الرحيل . وكان حال وطني هو شاغل كل خطة .

ولا أقوى الآن ولا أريد التعبير عن المشاعر التي اجتاحتني يوم ١٦ يناير ١٩٧٩ . أثناء اجتياز طريق المطار مع الإمبراطورة . كان بداخل قلبي إحساس مشؤوم بأن شيئا ما سيحدث . أما ماكنه ! سيحدث غدا . فقد منعني كثرة التعارب والظن في القدرة الأخيرة من تحيله

لقد أردت إقناع نفسي بأن رحيل سيهدئ من الغوغاء . ويخفف من الأحقاد . ويلقي بأسلحة المتعاهرين . كما تمنيت أن يعاود الحظ شهبور خنيار ليستطيع وطني أن يعيش . رغم الدمار

شاهدي وافق على تشكيل حكومة على أن يغادر الشاه طهران في إجازة . وقاد الحركة مع باقرجان عملة

الذاتي الذي أملاه بعض تحليل الطبول الخالدين . وعلى أرض مطار مهرباد حيث ترقد الطائرات التي شلتها الإضرابات . سرت نسمة مثلجة . وعند سلم الطائرة الموبخ التقت الشخصيات الهامة في الدولة لوداعنا . وعلى رأسهم شهبور خنيار ورؤساء أركان الجيوش ووزراء وجنرالات . وتصحبهم الواحد تلو الآخر بالقدوم والحذر . وبعثر على الإمام جوم الحضور ثلاثة بعض الآيات القرآنية التي اعتاد قراءتها لي قبل كل رحلة . فقصر البعض أسباب تخلفه وفقا لأهوائهم . بينما كان المسكين على فراش المرض . وتوفي بعدها بأسابيع في جنيف . غير أني صحبت معي نسخة لا تفارقني من القرآن الكريم . لقد هزني بعنف دلائل الإعلاص التي لقيتها خطة رحيل . والتي أطلق فيها حسنة رهيب . إلا من حشرجات النحيب . كانت آخر صورة حملتها خطة مغادرة تلك الأرض التي حكمتها ٣٧ عاما . والتي استطعت أن أعطيها قبيلا من دماي . هي ذلك الفصيل العارم الذي قراته على الوجوه الدامعة لمودعيها

أسوان : أولى محطات المنفى

كانت أسوان هي أولى محطات المنفى . ولم تكن اختيارا شخصيا للرئيس السادات وقرينته . لأني أعلم حبه وحده . ولقد حظينا بكرم ضيافتهما خلال الأيام التي قضيناها معهما . ووجدنا في المودة والكياسة التي لقيناها منهما هم العزاء للإمبراطورة بل . وفي ذلك الوقت اتوبت الذهاب إلى الولايات المتحدة . حيث كان يوجد مأوى . لكن أقصى الجميع من كل صوب بالعدول عن الذهاب إلى أمريكا . وعلى وجه الخصوص الولايات المتحدة . وعلى أية حال كان التأييد المطلق عليه هو الواقف في الغرب . فقضيت واستغلي تلك الخمس ليال . استغاثي في قصر بسفاء مراكش .

وعندما قررت التوجه إلى جزر البهاما في شهر مايو . أعارنا الملك الحسن طائرة خاصة للرحلة . وفي البهاما بدأت أقسى مراحل المنفى . فالأخبار التي تناهت من إيران يوما بعد يوم . كانت تجري مزيدا من قرارات الإعدام المتعددة . واستمرارا لتكاوس اللانهائي . أما مقرنا فكان قبالة خط شاطئ البحر . يسهل الاقتراب منها . لذلك جندنا عددا هائلا من رجال البوليس الشجعان للسهر على أمننا . أما الجزء في تلك القارة العصية فتلقياه من الساخرين الأتقان . وخاصة الفرنسيين . الذين كانوا يلوحون لنا بإشارات الخاطف عند اقترابهم من الشاطئ .

كان مقدرا أن جزر البهاما ماهي إلا فترة توقف مؤقتة . حتى يتم الحصول على موافقة دولة أخرى لاستضافتنا لمدة أطول . ولم أدهش عندما علمت أن الدعوة قد جاءتنا من المكسيك . التي ذهبت إليها في زيارة رسمية منذ أربع سنوات . ولقد أسرني استقبالهم الحار . كما أتاحت لي تلك الزيارة التعرف على صفات رجل الدولة التي يتمتع بها الرئيس لوبيزبورتيلو والإعجاب به . كما اكتشفت أعماق آرائنا فيما يتعلق بمشاكل القارة . وصورة العلاقات التي يجب أن تقوم بين الدول الصناعية والدول النامية .

زيارة تيكسون

فيما بعد ظهرت الجائزة على شجاعة الرئيس بورتيلو وإقدامه في مواقفه المتعددة في المؤتمرات الدولية الهامة فمثلا لدولته . وإن عرضه باستضافتنا في دولته عام ١٩٧٩ قد أكد في روح الفروسية التي عهدتها فيه . لكن حالتي الصحية لم تمكني من الذهاب إلى المكسيك . وفي المقابل حظيت بزيارة هادئ كيسنجر وريتشارد نيكسون في جزرالاكا .

كما توقع حضور الرئيس نيكسون وقرينته . ولكن منعهما وعكة صحية من الحضور في آخر لحظة . فحضر الرئيس نيكسون بمفرده . وأمضى معنا يوما كاملا . وأعتقد أن سعادتنا باللقاء كانت متبادلة . فلم تكن علاقاتنا قائمة فقط على العطف المتبادل . لكن أيضا لاتفاق وجهة نظرنا في كثير من الأمور . وخاصة ما يتعلق بالجغرافية السياسية . وقد جاء إلى طهران قبل اتجاهه رئيسا للولايات المتحدة الأمريكية . أثناء جولته حول العالم . كما عاد إليها مرة أخرى بوصفه رئيسا للولايات المتحدة . ولايوجد من فيهم أفضل منه ضرورة وجود حليف قوي ومستقر للغرب في تلك المنطقة من العالم

□ □ □

البقية في العدد القادم